باب الكتب الجديدة

تطور الطفل من الوجهة السيكولوجية — تأليف هنرى فالون .

أستاذ فى الكوليج دى فرنس باريس ١٩٤١ . ٢٢٤ ص .

L'Evolution psychologique de l'Enfant. par Henri Wallon. Professeur au Collège de France. *Armand Colin, Paris. 1941*

يعتبر الدكتور هنرى فالون من كبار المشتغلين بعلم نفس الطفل وقد مكنته ثقافته الفلسفية والطبية من أن يعالج سيكولوجية الطفل معالجة شاملة ، فيها عمق الفيلسوف ودقة العالم فى آن واحد . فقد بدأ دراساته الكلينيكية والتجريبية فى أثناء الحرب العظمى الأولى وكانت ثمرة هذه الدراسات كتابه المشهور عن الطفل غير المستقر L'enfant turbulent حيث حاول أن يربط بين مراحل نمو الجهاز العصبى ومراحل النمو العقلى والنفسى . وقد اهتم خاصة بالعلاقات الموجودة بين الوظائف الحسية والحركية وبين الوظائف الإدراكية . ثم اهتم بمراحل نمو شخصية الطفل فى كتابه عن أصول الخلق فى الطفل Les origines du caractère chez l'enfant وبين خاصة أهمية الأزمة التى يمر بها الطفل فى نهاية السنة الثالثة من عمره وسمى هذه المرحلة بالأزمة الأولى لتكوين الشخصية

وقد لخص الدكتور فالون جميع دراساته السابقة فى هذا الكتاب الجديد الذى ظهر فى باريس فى أواخر سنة ١٩٤١ . وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

١ — الطفولة وكيفية دراستها ٢ — نواحى النشاط المختلفة فى الطفل وتطوره العقلى

٣ — المستويات الوظيفية

والكتاب أغزر من أن يلخص فى عدة صفحات فلا بد من قراءته بتمعن ، بل إعادة قراءته مراراً لتمثيل كل ما يحويه من حقائق ودراسات عميقة لهذا الطور الهام من أطوار حياتنا وسنكتفى هنا بالإشارة الى أهم الموضوعات التى عالجها المؤلف . فبعد أن قارن بين الطفل والبالغ مبيناً بإجمال أوجه الاختلاف الموجودة بين عقلية الطفل وعقلية البالغ ، استعرض جميع المناهج المستخدمة فى دراسة الطفل مشيراً الى أهمية المنهج الموضوعى وضرورة الاعتماد على دراسة السلوك من جميع نواحيه وخاصة ما ينطوى عليه أشكال السلوك الحركى من دلالات لتعيين مراحل النمو . وهو يقرر أن كل مرحلة

هى فى نفس الوقت طور من أطوار النمو العقلى وشكل خاص أو نموذج من نماذج السلوك

وفى حديثه عن عوامل النمو النفسى لدى الطفل يبين لنا أن علل النمو ليست محصورة فى الحاضر ، بل ترجع إلى النموذج النوعى الذى سيحققه البالغ فيما بعد . هذه العلل موجودة فى نفس الوقت فى المستقبل والماضى . وهذه الحقيقة جد أساسية وهى التى يعبر عنها المنهج التكاملى فى علم النفس عند ما يقرر أن كل مرحلة ليست أساساً للمرحلة القادمة فحسب ، بل رمزاً لها .

ويستعرض المؤلف فى القسم الثانى الفعل وأثره فى التطور العقلى ، خاصة فى اكتساب اللغة وكيفية استعمالها . ثم يناقش وظيفة اللعب فى الطفل وكيف يستخدم الطفل أساليب اللعب المختلفة لتقوية قدراته العقلية والتعبير عن نفسه .

ويهتم المؤلف بمناقشة طرق التربية المختلفة لتهذيب عقل الطفل وتوجيهه فى اكتساب المعلومات ، مشيراً إلى التأثير المتبادل القائم بين مختلف الوظائف العقلية والحسية والحركية

وفى القسم الثالث والأخير يتناول الدكتور فالون بالتفصيل دراسة المجالات الوظيفية المختلفة ، مبيناً أشكالها ومستوياتها . فيعرض لدراسة الوجدانيات ثم الأفعال الحركية ثم تحليل المعرفة وينتهى بدراسة شعور الطفل بذاته كشخصية أخذت تنمو وتثبت ذاتها بصدد الآخرين . وتتناول خاتمة هذا الكتاب القيم النفيس مختلف أعمار الطفولة فى نظرة تأليفية شاملة .

ى . م

الشخصية واضطرابات السلوك — مجموعة بحوث تجريبية وكلينيكية نشرت تحت إشراف هونت ، ١٩٤٤ جزءان فى ١٢٤٢ صفحة

Personality and the Behavior Disorders. A handbook based on experimental and clinical research. Edited by J. McV .Hunt 2 vol., 1944, pp. 1242. The Ronald Press Company. New York.

وصلت موضوعات علم النفس من التشعب والتعقد إلى حد يصعب عنده لباحث واحد أن يوفيها حقها من الدراسة والتحليل . ولذلك نرى المراجع الكبرى فى علم النفس يقوم بتحريرها لفيف من العلماء والأخصائيين . ومن أمثلة هذه المؤلفات الموسوعة الفرنسية الشهيرة فى علم النفس Nouveau Traité de Psychologie التى يشرف على إصدارها العلامة جورج دوما J. Dumas وقد ظهر منها حتى عام ١٩٤٠ ستة أجزاء .

والجزء الثامن من دائرة المعارف الفرنسية الخاص بالحياة العقلية الذى أشرف على تحريره الدكتور هنرى فالون H. Wallon والمجموعة التى يشرف على إصدارها كارل مرشيسن C. Murchison فى علم نفس الطفل وعلم النفس التجريبى وعلم النفس الاجتماعى وتطور النظريات فى علم النفس الحديث . وكتاب ريمرت Reymert فى الوجدانيات والانفعالات وكتاب موس Moss فى علم النفس المقارن وغيرها من الكتب النفيسة التى يتحتم دراستها لكل من يريد أن يقف على مختلف نواحى علم النفس ، مطمئنا الى ما يطالعه . وقد عرض غيرنا فى هذا الباب لأربعة كتب جديدة من هذه الكتب التى تمتاز بالتأليف الجمعى.

وكتاب الشخصية واضطرابات السلوك من هذه الكتب المفيدة التى يشترك فى تحرير فصولها علماء إخصائيون ممتازون . فقد قام بتحرير فصوله الخمسة والثلاثين تسع وثلاثون عالماً نخص منهم بالذكر هونت Hunt وهو المشرف على تحرير الكتاب . وجوترى Guthrie وفرنش French وليفين Levin وليدل Liddell ومورفى L.B. Murphy وبلانشار P.Blanchard وكنر Kanner ولندسى Lindsay وغيرهم من الفلاسفة وعلماء النفس والأطباء.

وينقسم الكتاب إلى ثمانية أقسام وسنقصر هذا العرض على أهم الموضوعات التى تناولها كل من هذه الأقسام . ويعرض القسم الأول لدراسة الشخصية من الوجهة النظرية ، أى محاولة تعريف الشخصية وتفسير تكوينها وتطوّرها بطريقة منظمة بإرجاع مبادىء التعريف والتفسير إلى أسس فلسفية أولية . ومن أهم فصول هذا القسم محاولة جوترى لتفسير تكوين الشخصية تبعاً لقوانين التعليم الارتباطى والنزعة السلوكية جد واضحة فى هذه المحاولة .

ويتناول القسم الثانى وسائل تقدير سمات الشخصية وقياسها . فيشير جونس E. D. Jones إلى وسائل الحكم على سمات الشخصية من الوجهة الذاتية البحتة فى حين يوضح مالر Maller قيمة الاختبارات المختلفة التى استخدمت للكشف عن سمات الشخصية وتقديرها من الوجهة الموضوعية . ويعقد هويت White فصلا هاماً ليبين كيفية استخدام التأويلات التى تتناول نشاط المخيلة وما يسقطه الشخص على العالم الخارجى من ميول ورغبات . وقد اهتم المؤلف خاصة باختبارات رورشخ Rorschach الشهيرة التى تستخدم تأويل بقع الحبر ، مستعرضاً أهم البحوث التى أثارتها هذه الاختبارات ومبيناً قيمة نتائجها وأهميتها فى الكشف عن الميول الدفينة التى تحرك سلوك الشخص

أما القسم الثالث فإنه يدور حول ديناميكية السلوك أو بعبارة أخرى دوافع السلوك وحوافزه ، ثم الدراسات التجريبية لفهم اضطرابات السلوك وأخيراً التنويم المغناطيسى ، ويضم هذا القسم ثمانية فصول تناولت الموضوعات الآتيـة : دراسة كلينيكية

لديناميكية السلوك . الآثار الفسيولوجية للتوتر الانفعالى . تحليل تجريبى للظواهر النفسية اللاشعورية التى كشفت عنها مدرسة التحليل النفسى . مستوى التطلع . تمهيد لإقامة نظرية عامة تفسر الحرمان والتعجيز . طريقة إحداث الأفعال المنعكسة الشرطية وصلتها بإحداث حالات العُصاب بطريقة تجريبية . دراسة تجريبية لاضطرابات السلوك فى الفأر . الدراسات التجريبية لتوضيح طبيعة الصراع النفسى ثم مختلف النظريات التى قيلت فى تفسير التنويم المغناطيسى

ويتناول القسم الرابع — وهو القسم الأخير فى المجلد الأول — والقسم الخامس مقومات الشخصية ومختلف العوامل التى تعين سماتها وخصائصها . ويتناول البحث أولا العوامل البيولوجية والعضوية ، ثم العوامل النفسية كما يختبرها الشخص ومن حيث تأثيرها فى الشعور ، ثم العوامل الاجتماعية .

وتشمل دراسة العوامل البيولوجية والعضوية الموضوعات الآتية : الوراثة ، العوامل الجبلية فى تكوين الشخصية ، تأثير إصابات المخ فى الشخصية وأخيراً تأثير مختلف العوامل الفسيولوجية فى السلوك وخاصة الإفرازات الداخلية والتأثير المتبادل بين الجهاز العصبى ومجموعة الغدد الصماء

وتتناول دراسة العوامل النفسية فى تكوين الشخصية المراحل الثلاث الأولى من حياة الإنسان وهى السنة الأولى والثانية من حياة الطفل ، ثم الطفولة ، ثم المراهقة . أما الناحية الاجتماعية فقد انحصرت فى دراسة العوامل الثقافية من حيث تأثيرها فى الشخصية . ودراسة عوامل البيئة الجغرافية فى صلتها بسلوك الإنسان . ثم يعرض الكتاب للجزء الثانى من العنوان وهو اضطرابات السلوك على مختلف أنواعها . فيتناول القسم السادس أهم موضوعات الطب العقلى مركزة حول أمراض الشخصية وما يصاب به الشخص من نقص أو انحراف . وسنقتصر على ذكر عناوين الفصول السبعة التى يتكون منها هذا القسم : اضطرابات السلوك فى الطفولة ، الشخصيات المجنحة والإجرامية ، الشخصيات غير الصالحة للخدمة العسكرية ، حالات العُصاب أى ما يعرف بالأمراض النفسية حالات الذهان الوظيفية أى الأمراض العقلية التى لا تنشأ عن إصابات عضوية أو أمراض جسمية ، معنى الشخصية السيكوباتية [1] ، وأخيراً حالات التشنج كالصرع مثلا .

ويعرض القسم السابع لبعض الدراسات الإضافية التى تلقى ضوءاً على فهم اضطرابات السلوك كحالات البله والنقص العقلى . ثم كل ما وصلت إليه من نتائج وتأويلات طريقة رسم الموجات الكهربائية الصادرة عن الدماغ

(١) راجع فى باب المجلات والدوريات تلخيص مقال كلكى عن السيكوباتية ص٢٢٣

أما القسم الثامن والأخير فإنه تنحصر موضوعاته فى الناحيتين العلاجية والوقائية للأمراض العقلية واضطرابات السلوك على كافة أنواعها

ومما هو جدير بالذكر عناية كل مؤلف بذكر أهم البحوث التى ظهرت فى الميدان الذى يدرسه ، وتعتبر قوائم المراجع المثبتة فى آخر كل فصل أوفى مجموعة وأنفسها لأهم ما نشر حتى الآن من البحوث التى تدور حول موضوع الشخصية واضطرابات السلوك الإنسانى

وقد ظهرت خلال الفصول التى تكون هذا الكتاب القيم المفيد عدة تيارات فى التفكير السيكولوجى والبحث الطبى العقلى . ومما يسترعى النظر تغلب نزعة التحليل النفسى مع ميله إلى ضبط تفسيراته بالمنهج التجريبى وبما يجرى فى المعامل من تجاريب . ثم النزعة الحديثة فى الطب البشرى وهى النزعة السيكوسوماتية التى يعمل زميلنا الدكتور مصطفى زيور على عرضها على صفحات هذه المجلة

ى . م

التحليل النفسى اليوم — مجموعة بحوث نشرت تحت إشراف سندر لورند (سنة ١٩٤٤ — ٤٠٤ ص .)

Psychoanalysis To-day. Edited by Sandor Lorand, New York International University Press, 1944. 404 pp.

اشترك فى تحرير فصول هذا الكتاب نخبة من كبار علماء التحليل النفسى . كل فى موضوع سبق له التأليف فيه والعناية بدراسته عناية جعلته حجة فيه ، بحيث جاء الكتاب — كما يدل عليه عنوانه — ممثلا أحسن تمثيل للحالة الراهنة التى وصل إليها البحث فى مختلف فروع التحليل النفسى. على أن الكتاب لم يقصد به أن يكون سفراً فنياً لا يقوى على تناوله الا المحللون ، بل جاء تصميمه — كما يعلن ذلك رئيس تحريره فى التصدير — بحيث يفيد منه « أطباء العقل ورجال الطب عامة ، والخدام الاجتماعيون والمعلمون وغيرهم ممن تعنيهم مشكلات الحياة المعاصرة . فهو يعطى فكرة عامة شاملة عما ساهم به التحليل النفسى فى فنون الشفاء وفى الثقافة العامة . »

ويشمل الكتاب واحداً وثلاثين فصلا غير المقدمة والتصدير ، قد يمكن تصنيفها فى ستة أبواب هى : الطب والطب السيكوسوماتى . التعليم والخدمة الاجتماعية . الأمراض

(٢) راجع العدد الأول من هذه المجلة ص ١٣ — ٣٥ وفى هذا العدد مقال الدكتور مصطفى زيور والدكتور نعيم

العُصابية (Neuroses) . الأمراض الذهانية (Psychoses) مشكلات العلاج . التحليل النفسى التطبيقى (فى الأدب والفن والدين والاجتماع الخ ..)

أما الفصل الأول فهو مقال كتبه Ferenczi قبيل وفاته (وهو الرئيس السابق للجمعية الدولية للتحليل النفسى) عرض فيه عرضاً موجزاً واضحاً نشأة التحليل النفسى وأثره فى الطب. وفى رأينا أن Lorand قد وفق فى اختياره هذا المقال مدخلا تاريخياً . يأتى بعد ذلك ثلاثة فصول فى الطب النفسى الجسمى كتبها Flanders Dunbar, Smith Ely Jelliffe و Spurgeon English ، ثم خمس مقالات فى سيكولوجيـة الطفل وما يعرض له من انحرافات نفسية واجتماعية بأقلام Marianne Kris , Oberndorf , I.T. Broadwin . T.H. Ames, Melanie Klein وقد لخص قلم تحرير هذه المجلة مقال Oberndorf فى هذا العدد) . يلى ذلك مقالان فى الخـــدمة الاجتماعية والصحة العقلية الأول بقلم Keuworthy والثانى بقلم J. Eisenbud أما الفصول التى تعالج موضوع الأمراض العُصابية فقد آثر Lorand أن يتقدمها مقالان يتناولان دراسة سيكولوجية الشخصية السوية ، الأول بقلم Franz Alexander وموضوعه سيكولوجية الأنا والثـانى بقلم Monroe Meyer وموضوعه سيكولوجية الأحلام. ثم يعرض B. Lewin , Kardiner , Brill , E. Simmel ست مقالات أهم المشكلات العصابية . ويبسط E. Glover , S. Lorand Van Ophiujsen السيكولوجية التحليلية للأمراض الذهانية (Psycboses) Hinsie, Paul Schilder, Zilboorg ويتبع ذلك مقالان فى منهج العلاج كتبهما H. Bunker, S. Lorand . وينتهى الـكتاب بستة فصول تلخص تطبيق التحليل النفسى فى (١) دراسة الدين Ernest Jones و (٢) فى الدراسات الاجتماعيـة H. Hartmann و (٣) فى مشاكل الإجرام P. Schilder و (٤) فى دراسة الفن E. Kris و (٥) فى دراسة الأدب Wittels و (٦) فى الدراسات الأنتروبولوجية Geza Roheim

والـكتاب غنى عن التوصية بقراءته لأن تصفح أسماء المســـاهمين فى تأليفه كاف فى الدلالة على قدره . كما أن سـعة نطاق ما يتناوله من المشاكل الحيوية خليقة بأن تزكيه وبأن تحله مكانه فى مكتبة كل مثقف .

م . ز

الكتاب السنوى فى التحليل النفسى المجلد الأول — سنة ١٩٤٥ ، ٣٧٠ ص .

The Yearbook of Psychoanalysis. Volume I. Managing Editor: Sander Lorand. New York. International University Press 1945. 370 pp.

يطالعنا Lorand الفينة بعدالفينة بالجديدالطريف فى ميدان التأليف والنشر فى التحليل النفسى . وها هو ذا يأتينا هذا العام بمشروع « الكتاب السنوى فى التحليل النفسى » بعد أن جاءنا فى العام الماضى بمشروع كتاب التحليل النفسى اليوم » . أما « الكتاب السنوى » فهو على نسق أمثاله من « الكتب السنوية » فى مختلف فنون الطب يضم أهم البحوث الطريفة التى نشرت أثناء العام فى مختلف المجلات والدوريات المختصة . فهو إذن كتاب يخاطب به أهل المهنة من المختصين ممن قد يفوتهم متابعة جميع الدوريات والنشرات العلمية . على أن « الكتاب السنوى فى التحليل النفسى » يختلف عن أمثاله فى الميادين العلمية الأخرى فى أنه لا يلخص البحوث ولا يقتصر على مقتطفات منها بل ينشرها كاملة كما جاءت فى أصولها . ولعل ذلك راجع إلى طبيعة البحوث التحليلية واستعصائها على الأداء . فكأن Lorand أراد أن تقع على كل مؤلف تبعة تعبيره عما وصل إليه فى ميدان بحثه من لطيف الأحوال النفسية ومعقدها .

ولا يسعنا هنا إلا أن نشير على سبيل المثال إلى بعض ما تضمنه هذا المجلد الأول من « الكتاب السنوى للتحليل النفسى » من بحوث .

افتتح Lorand هذا المجلد — ولم يكن ذلك غير متوقع — بمقال « للمعلم الأول » فى التحليل النفسى ، نعنى سيجموند فرويد . وقد اختار آخر مقال — فيما نعلم — نشر له فى International Journal of Psychoanalysis فى الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين (سنة ١٩٤٣) ، وهو الترجمة الانجليزية لمقال سبق نشره بالألمانية فى Gesammelte Schriften أثناء حياته ، وموضوع المقال ملاحظات فى نظرية تأويل الأحلام وفى تطبيقه ، وثمة مقال طريف بقلم Ernest Jones فى فكرة العقل السليم وآخر بقلم Geza Roheim فى التسامى وآخر بقلم Brill فى: الحدادواللانخوليا والأفعال القهرية، ثم خلاصةحوار طريف بين Fenichel وآخرين حول اضطرابات النوم العُصابية ثم ثلاثه مقالات فى الاضطرابات العُصابية الناشئة عن الحرب وغير ذلك من المقالات وعددها واحد وعشرون .

م . ن .

الطب العقلى والحرب — مجموعة بحوث نشرت تحت إشراف فرنك سليدن سنة ١٩٤٣ — ٥٠٥ ص

Psychiatry and the War. Edited by Frank Sladen; pp. 505, 1943. Charles C. Thomas, Springfied, Illinois.

يضم هذا الكتاب خلاصة وافية للبحوث التى ألقيت بمؤتمر الأمراض العقلية الذى عقد سنة ١٩٤٢ بجامعة ميشيجان بدعوة منها ومن مؤسسة ماكريجور . وقد كان الغرض العام من ذلك المؤتمر عرض أهمية الطب العقلى وعلاقته باضطرابات السلوك عند الإنسان وأثره فى معالجة مشكلات العلاقات الإنسانية على ضوء ما كشفت عنه الحرب العالمية الثانية .

ولتحقيق ذلك الغرض كان لا بد أن يعيد المؤتمر النظر فى نطاق الطب العقلى وميادينه وأهدافه ليتسنى له أن ينشىء قيما جديدة فى نظمه وأساليبه .

وقد كانت للمؤتمر أهمية مزدوجة . فإنه بالنسبة للمشتغلين بالأمراض العقلية يساعد على التوجيه والتفكير الموحد . وبالنسبة لغيرهم يساعد على إيضاح قيمة الطب العقلى وتحديد مكانه فى فهم المشكلات الإنسانية ونصيبه من حلها

والكتاب بعد يعطى صورة شاملة للطب العقلى كما يراه قادته فى الولايات المتحدة وكندا الذين وضعوا على ضوء خبرة الماضى وأساليب الحاضر قيما وأهدافاً جديدة كشفتها لهم شدة الظروف الحربية الراهنة.

والكتاب مقسم إلى خمسة أقسام . فالقسم الأول وهو الخاص بفلسفة الطب العقلى فيبحث فى معنى الطب العقلى وفى نطاقه وأهدافه ويتناول فى ذلك علاقته بالمدارس المختلفة فى علم النفس . كما يتناول دلالته فى طب الأمراض الباطنية والجراحة وفى أمراض الطفولة والشيخوخة .

والقسم الثانى خاص بالبحث فى الطب العقلى ومستقبله ويتناول فى ذلك البحث فى الميادين الطبية والسيكولوجية والنفسية الجسمية .

ويشتمل القسم الثالث على علاقة الطب العقلى بتربية الفرد وإنشائه فى جميع مراحل الحياة . فيتناول مشكلات التربية فى المدرسة على اختلاف درجاتها . ثم ينتقل إلى الزواج وحياة الأسرة . ثم الدين والمجتمع الحضرى والريفى معاً ، وأخيراً يختتم ببحث علاقة الطب العقلى بالجريمة والسلوك المجنّح (delinquent behavior)

ويشمل القسم الرابع علاقة الطب العقلى بالحرب ، سواء فى ذلك القوات المحاربة أو المدنيين ، ثم يشير إلى الطب العقلى فى العلاقات القومية والدولية وإلى أهداف ما

بعد الحرب وإلى الجانب الوقائى فى الطب العقلى وإلى الطب العقلى والروح المعنوية والدعاية .

أما القسم الخامس فقد كان خاصاً بمناقشة الموضوعات التى أثيرت فى المؤتمر والتعقيب عليها .

وليس من الميسور أن نعطى القارىء ، فى هذا العرض السريع لموضوعات الكتاب إلا فكرة جزئية عن المشكلات التى عرض لها بالبحث والتعقيب أكثر من أربعين أخصائياً من المشتغلين بطب الأمراض العقلية فى أمريكا ، وقد أدركت أمريكا أن العناية بصحة العقل ينبغى أن تكون فى مقدمة ما تعنى به وتسخو فى العطاء له والاتفاق عليه ، كما أدركت أن هذه العناية تكون أبقى أثراً وأوفى ثمرة إذا وجهت توجيها وقائياً ؛ ومن ثم حركتها الضخمة فى سبيل الصحة العقلية التى رادت فيها بلاد العالم جميعاً .

وليس لدينا فى مصر ما نقارن به أمريكا ولا غيرها من بلدان العالم المتمدين فى ميدان الصحة العقلية ، فإن هذه الكلمة لا تزال غريبة على تفكيرنا الإصلاحى أو الإنسانى ونحن لا نزال ننظر إلى المرض العقلى نظرة قدرية مستسلمة جامدة تميز عصور الجهل والتخلف فى النظر إلى تلك الأمراض ، وبينا لا نجد عندنا إلا عدداً محدوداً لا يكاد يجاوز الآحاد من الأخصائيين فى المرض العقلى (واحد فى المليون من السكان مع السخاء فى التقدير) نرى أحد أصحاب بحوث هذا الكتاب ينعى على أمته قلة من فيها من أخصائى الطب العقلى لأن عددهم لا يتجاوز ٢٢٨٠ أخصائياً (أى بمعدل واحد لكل ٥٧٠٠٠ من السكان) وبينا لا نجد عندنا عيادة واحدة لتوجيه الطفولة نرى فى أمريكا أكثر من ٦٠٠ عيادة ، ثم هى تطلب المزيد .

إن شعار الطب العقلى الآن هو الوقاية ، وهدفه هو « لا ضحايا المرض العقلى فحسب بل السكان أجمعين » ، فأين نحن من العالم المتمدين على هذا القياس ؟

صبرى جرجس

الشذوذ العقلى والجريمة — مجموعة بحوث نشرت تحت إشراف رزينوفتز وتورنر سنة ١٩٤٤ — ٣١٦ ص .

Mental Abnormality and Crime. Edited by L. Radzinovicz and J.W. C. Turner, pp. 316, Macmillan, London.1944.

هذا كتاب أصدره قسم العلوم الجنائية بكلية الحقوق بجامعة كامبردج ، وهو واحد من سلسلة ظهر منها حتى الآن خمسة أجزاء تحت عنوان (دراسات انجليزية فى العلوم

الجنائية) ، والقصد من إصدار هذه السلسلة المشاركة فى دراسة المشكلات الاجتماعية والقانونية التى تنتج من الأعمال الخارجة على القانون وإعادة النظر فى تطبيق القانون الجنائى على ضوء ما ينكشف من الدراسة العلمية للجريمة .

وقد قام بوضع هذا الكتاب ثلاثة عشر أخصائياً من أعلام الطب العقلى فى انجلترا ، وحاول كل منهم أن يربط بين الانحراف العقلى فى أحد مظاهره وبين السلوك الخارج على القانون ، على أن هناك نقطة قد يتعثر الباحث السطحى عندها ، أشار اليها محررا الكتاب وخيراً فعلا ، فى أن الانحراف العقلى لا يعنى الجنون وحده ، وليس كما كان يظن من قبل ، مقصوراً عليه ، فإن الدراسات الحديثة فى الطب العقلى تنظر الى الانحراف نظرة شاملة بعيدة الأفق وتكشف فيه عن أنماط متعددة لا تكاد تقع تحت حصر ، ومن ثم فإنها تراه بعيد التغلغل فى المجتمع ، عميق التأثير فى حياة الجماعة

والهدف الأساسى الذى يتجه اليه بحث الجريمة الآن هو جُناح delinquency الصغار فإن ٥٠ ٪ من جميع الخارجين على القانون إما من الأطفال أو المراهقين أو صغار الشبان . وهؤلاء هم الذين يجدى معهم العلاج ويقوى الأمل فى ردهم الى دائرة التكيّف الاجتماعى ، وهم أيضاً الذين يصيرون فيما بعد الى تعود الإجرام اذا أهمل شأنهم .

وقد عرض ما كنيفن MacNiven للجريمة فى مختلف الحالات الذهانية وعالج بصفة خاصة التبعة الجنائية فيها ، وهو يرى أنه من الخير أن يعد كل مذنب ، سواء أكان عاقلا أم مجنوناً ، مسئولا ، وإن لم يكن بالضرورة مستحقاً للعقاب

وعرض جلسبي Gillespie للجريمة فى حالات العصاب وأبان علاقة السلوك المجنح أو المضاد للمجتمع بالصراع النفسى ، وأوضح كيف تكون الجريمة عارضاً فى بعض الحالات العصابية

أما علاقة السلوك المنحرف بالنقص العقلى فلعلها أقدم أنماط الانحراف العقلى فى الجريمة عهداً بالدرس وأوفرها حظاً من عناية الباحثين ، وقد عرض لويس Lewis لها وأشار الى أنه من العلاجات الطبية أن يتعاون الطب والقانون فى بحث المشكلات الناتجة من النقص العقلى ، فإن الطب أكثر ما يعنى بالفرد والقانون بالجماعة ، والتأليف بين هذين الاتجاهين من أهم ما يواجه العلوم الجنائية فى الوقت الحاضر

وعرض هندرسون Henderson للسيوكوپاتية والسلوك الإجرامى وأبان أن الجريمة ليست نتيجة محتومة للحالة السيكوپاتية . وقد عنى بصفة خاصة بإيضاح أهمية التاريخ المفصل فى التمييز بين جرائم السيكوپاتية وغيرها من الجرائم الأخرى . وفى رأيه أن لب المشكلة ينحصر فى الوسائط الوقائية بجوانبها التعليمية والاجتماعية والطبية التى ينبغى أن تبدأ من بواكير الطفولة

وعرض ما كلمان MacCalman للاضطرابات الوظيفية التى تعقب الإصابات ، مشيراً إلى مظاهرها العصابية والذهانية المختلفة وإلى مشكلة التعويض الوثيقة الصلة بها . وفى رأيه ان الاهتمام ينبغى أن يحول من التعويض الى العلاج ، وهو ميسور إذا اكتشفت هذه الحالات فى طور مبكر وأعطيت علاجاً نفسياً مناسبا

أما ايست East فقد عرض للعوامل الجسمية فى السلوك الإجرامى وذكر النظرية الانتروبولوجية فى الجريمة ، كما أشار إلى البحوث الحديثة عن علاقة القامة والوزن والغدد الصماء ومختلف الحواس بالسلوك . وعرض لبحوث روزانوف Rosanoff وكرانز Kranz وغيرهما فيما يتعلق بالتوائم ، كما عرض لنماذج كريتشمر Kretschmer فى الجسم والخلق وعلاقتها بالسلوك . وهو ينقد الرأى الذى يدعو الى تعقيم المجرمين ، لأننا لا نستطيع القول بأن الجريمة تورث ، ويرى الاستعانة بالوسائط الحديثة (مثل الرسم الكهربائى للمخ) فى تجلية الغموض الذى يحيط ببعض الحالات

وفى الكتاب فصل مفيد لسكوت Scott عن علاقة الخمر بالسلوك الإجرامى وفصل آخر لايست East عن الجرائم الجنسية يتضمن طائفة من المقترحات التى ترمى إلى وقاية المجتمع وصيانة مصلحة المذنب معاً . وفيه بحث مطول عن جناح الأحداث تناول بيرس Perce فيه السمات الجسمية العقلية ، وأثر العوامل الاجتماعية والأسرية وترتيب الميلاد فى السلوك المجنح . وعرض رودولف Rudolf بعد ذلك للعلاقة بين الحياة العسكرية والسلوك الإجرامى

واختتم الكتاب بفصلين عن تشخيص الجناح وعلاجه ، أحدهما تقرير لجلوفر Glover عن عمل معهد العلاج العلمى للجناح فى السنوات الخمس من ١٩٣٧ — ١٩٤١ ، مبيناً فيه عدد الحالات التى عولجت (٧١٩ حالة) والوسائط التى أتبعت فى تشخيصها وعلاجها والنتائج التى وصل المعهد اليها وما يرجو بالخير للمستقبل ، والثانى تقرير لكريج Craig عن عمل عيادة توجيه الطفولة بإكستر Exter ، وما قامت به من تشخيص المشكلات السلوكية لعدد من الأطفال والمراهقين ، ثم من علاجهم وتوجيههم بعد ذلك .

والكتاب يعد محاولة مثمرة لدراسة السلوك الإجرامى على أساس علمى ، وهو جدير بأن يلقى الضوء على كثير من المشكلات الخاصة بالجريمة ؛ وأن يحفز الى دراستها كعارض لمرض جسمى أو عقلى ، يتعب الفرد ويتبدى فى علاقته بالمجتمع .

صبرى جرجس

فى التصوف وعلم النفس

ابو الفارضية والحب الالهى للدكتور مصطفى محمد حلمى
مدرس الفلسفة والتصوف بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

يقوم التصوف فى جملته ، رياضة أو سلوكا أو معرفة على التجربة الوجدانية . وليس هذه مما يسهل دراستها دراسة موضوعية ولا مما يمكن أن ينفذ إلى طبيعتها العقل فيكشف عن خصائصها . ومن أجل هذا فقد ظل التصوف ظنيناً عند الباحثين ، يهدمه البعض هدما تاماً ويرى فى أصحابه أحد إثنين : ماجن أو منحرف مريض ، ويعطف البعض الآخر على أهله باعتبارهم فئة قد يكون فى تمايزها مما يوجب دراسة أسلوب حياتها من جملة ما خلفه لنا المتصوفة من آثار ولاسيما ما يتفق منها مع ما انتهت إليه البحوث التجريبية أو الاستدلالات المنطقية .

وفى الحالين لا يمكن للباحث أن يصل إلى اليقين ما لم يتخذ من علم النفس أساسا لدراسته ولاسيما ذلك المنهج الذى ينفرد به علم النفس عن سائر العلوم الطبيعية وهو منهج التأمل الباطنى أو النظر النفسى . والبحث وفق هذا المنهج صعب معقد انتقد فى كثير من وجوهه وإن كان لا يزال عمدتنا فى كثير من بحوثنا . ومن أجل هذا صعبت الدقة فى دراسة التصوف فى جميع موضوعاته التى ترتبط بعلم النفس ارتباطاً وثيقاً : فهو كرياضة روحية لا بد لأن نقف على طبيعتها من معرفة خصائص الوجدان وما يطرأ عليه من تغيرات يشعر بها المتصوف ويدركها على نحو ما . وهو كسلوك أكثر ما يثير الشرع والاجتماعى ويلجئه إلى محاولة الكشف عن الدوافع التى تدفع كثيراً من المتصوفة إلى الخروج عن المألوف فى أساليب الحياة . ودوافع السلوك هذه — كما لا يخفى — من موضوعات علم النفس . وأخيراً نرى التصوف كمعرفة بالكون وبالله لا يقوم على استدلال ولا منطق بل على صدى العاطفة وما تثيره فى نفس الصوفى من معان يترجمها ويصيغها بصيغة إدراكية فاذا بها عقيدة ومبدأ وفلسفة . وهذه العاطفة وصداها وآثارها فى النفس أحد موضوعات علم النفس الهامة . . وكل هذه الموضوعات من أعمق البحوث وأكثرها غموضاً . . .

فهذا الارتباط الوثيق بين التصوف وعلم النفس وهذه الصعوبة التى يجدها الباحث فى معالجة موضوعات العاطفة والوجدان هو ما يجعلنا نتناول على صفحات هذه المجلة

موضوع كتاب قيم ظهر حديثاً فى التصوف فى الوقت الذى تفتقر فيه المكتبة العربية إلى مثل هذه البحوث التى ينهج فيها أصحابها نهج التحليل والتحقيق . مما جعلها تستقبل كتاب ابن الفارض والحب الإلهى باهتمام كبير كفاتحة طيبة ينتظر أن تكون حافزاً قوياً للباحثين من أبناء اللغة العربية ليكملوا هذه المحاولة الجريئة فى كشف مدى ما لمنهج المتصوفة من اعتبار فى الوصول إلى الحقائق ، ومدى ما لأسلوبهم العملى من آثار فى حياة المجتمع الأخلاقية ، ومدى ما لنتائجهم من خطر فى ميدان المعارف الكونية والميتافيزيقية . ذلك لأن الدكتور محمد مصطفى حلمى عرض لكل هذه الموضوعات عرضاً جامعاً فى أسلوب أدبى ممتع ، فلم يفته أن يلم بالنظريات الصوفية المختلفة أثناء مناقشته لآراء ابن الفارض فكان بذلك مرجعاً أميناً .

على أن أهم الآراء التى إنتهى اليها فى هذا البحث الضافى الذى اعتمد فى أكثر أجزائه على التحليل النفسى ثلاثة : أولها اتخاذ الأذواق والمواجيد كسبيل للمعرفة اليقينية لا غبار عليه وثانيها اعتبار الحب والمعرفة شيئاً واحداً يلزم عنه منطقياً القول بالجبرية ووحدة الوجود والقطبية . وثالثها اتفاق الاديان جميعها فى الجوهر واختلافها فى الشرع المتغير بتغير الظرف والمكان . فلا معنى للتعصب والفرقة . وهذه النتائج كما ترى خطيرة جداً تحفز على البحث وتدفع الى الاستقصاء ولا سيما وأن المؤلف أخذ يناقشها من جوانب كثيرة تقيم كل منها مشكلة بذاتها . وإن لم يكن هذا المقام مناسباً لعرضها ومناقشتها فاننا نعد بمعاودة معالجتها بما تستحقه من النقد أو التقدير ، مكتفين الآن بالإشارة الى أبرز وجه نفسى فى هذا البحث خصه الدكتور بعنايته وهو تفسيره أذواق الصوفية ومواجيدها ومناحته عنها . . على النحو الذى يقول فيه فى ص ٤٠ من الكتاب :

« واذا أردنا أن نفسر أحوال ابن الفارض ومواجيده المشار اليها آنفاً تفسيراً يتمشى ولغة علم النفس الحديث . قلنا إن هذه الأحوال والمواجيد انما تصدر أكثر ما تصدر عن شعور باطنى عميق يستغرق الحياة النفسية كلها بحيث يوجهها الى نقطة واحدة ينجذب اليها الشعور ويتركز فيها تركيزاً لا يكاد يجد له منه مخرجاً ولا عنه منصرفاً . وهنا يصبح صاحب الأحوال والمواجيد ولا شغل له الا بهذه النقطة يجذب إليها كل محسوساته ومعقولاته ، ويؤول هذه المحسوسات والمعقولات تأويلا ملائماً لهذه النقطة ملاءمة لا يدركها إلا من كابد الأحوال وشرب من كأس المواجيد . وهذا الشعور الباطنى أو كما يسميه الدكتور بيوك Dr. Buke ، عالم النفس الكندى ، بالحاسة العميقة Deeper Sense موجود فى كثير من النفوس الإنسانية نجده عند كثير من صوفية الشرق والغرب وعند شعراء هذا وذاك » .

والمؤلف حريص فى مناقشته أن يبين أن هذه جميعاً ليست ضرباً من الهذيان أو لوناً من الاضطراب العصبى والمخى . وهو بهذا كله انما يقدم مادة خصبة للمشتغلين بهذا الجانب من علم النفس الذى ستعنى هذه المجلة به فيما ستعنى من بحوث . فحبذا لو تكرم الدكتور محمد مصطفى حلمى بفتح باب البحث والمناقشة فى هذا الباب موضحاً لنا ما إذا كانت تعنى هذه الأذواق والمواجيد والرياضات والمجاهدات أسلوباً سوياً للشخصية المتكاملة لا شذوذاً ولا انحرافاً . وما إذا كان ينصح باتخاذ هذا الأسلوب كطريقة عامة للمعرفة نحث عليها الناس ونربى عليها النشء كما نربيهم على انتهاج المنهج العلمى المنطق . . . وما إذا كانت حياة الصوفية مما يتفق والحياة الاجتماعية الخلقية . انه بهذا سيفتح باب مناقشة من أمتع المناقشات التى سيفيد منها الرأى الاجتماعى العام والرأى التربوى فائدة جلى .

ابراهيم أبو غده

الكتب المهداة إلى مكتبة المجلة

علم النفس وتطبيقه على التربية : للأستاذ فاخر عاقل — مكتبة العلوم والآداب — دمشق

الحياة الروحية فى الاسلام : للدكتور مصطفى حلمى — من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

الشعر الى : للدكتور توفيق الطويل — من مجموعة أعلام الإسلام

الأهرام : للدكتور توفيق الطويل — مكتبة الآداب — القاهرة

مشكلة الطالب الكبرى — للاستاذ يوحنا عبد السيد

رأيى فى أبى العلاء — للأستاذ أمين الخولى

علم النفس الاجتماعى — للأستاذ مظهر سعيد